ستديو ثقافة شعبية

خليفان - اربيل

نهر خريسان - ديالى

شط الحلة و(بلم) بين الضفتين

من المحرر

التوثيق والمعلومات الاساسية

باسم عبد الحميد حمودي

قبل فترة قليلة انتقل الى رحمة الله الباحث الفولكلوري والشاعر المرحوم عبد الحسن المفوعر السوداني، وقد اهتمت هذه الصفحة وصفحة (ذاكرة) بهذا الحدث لما للراحل الكريم من اهمية وفضل في بحوث الالعاب الشعبية والشعر الشعبي، وقد اتصلنا بالكثير لمعرفة تفاصيل من الممكن تقديمها للقارئ الكريم لكننا لم نوفق الا في الحصول على معلومات بسيطة لعدم وجود مراكز توثيقية لهذا النوع من النشاطات ولهذه النخبة من الرجال الذين انحصرت نشاطاتهم الثقافية في سياق خاص او في لون محدد فأغفلت مراكز البحث عن الكثير من نشاطاتهم ولم تنشط ابواب الانترنيت والكوكل في استحضار معلومات كافية عنهم، ولولا وجود كتاب الفقيد الخاص بالالعاب الشعبية في العمارة وبعض اشارات صفيه الباحث عامر رشيد السامرائي لما امكن تقديم مايغني عن الفقيد.

ان من مشكلات هذا النوع من الباحثين زهدهم في الانتشار وقصور المؤسسات عن متابعة اعمالهم اضافة لما تحدثنا عنه اكثر من مناسبة بعدم وجود ارشفة ولا ارشيف ورقي ولا رقمي لرجال التراث الشعبي، وذلك يجعل من الصعب على الباحثين والمتابعين الحصول على اية فكرة شبه كاملة عن الرجال الذين بذلوا الكثير من اجل اغناء الذاكرة الشعبية والحفاظ على الموروث الشعبي للوطن وحفظ جهود الاسلاف الذين اعطوا بلا منة وحق علينا لهم ان نحفظ اثارهم وما أنتجوه.

ان هذا الجهد الذي ينبغي ان يكون لا يصب في مصلحة الرواد الذين اعطوا بل في مصلحة ذاكرة الوطن الشعبية وهذه دعوة لكل الجهات المعنية اذ تكفي الاحتفالات المصورة والمبهرجة والتي لا طائل من ورائها سوى البقاء لفترة في دائرة الضوء لكن الاعمال التوثيقية والبحثية هي الانفع والاكثر بقاء وجدوى.

ذكريات

حكاية الشليف والسابل

عمران السعيدي

(دوخر ليقاد تا نبدك عالشليف) عبارة غريبة لمن يسمعها لاول مرة حيث لا يفهم معناها الا من رافق اصحاب هذه اللهجة وهم عادة ما يكونون من سكنة المنطقة الغربية للعراق.سمعت هذه العبارة وانا طفل صغير لا يتجاوز عمري السادسة. حيث كانت تفد علينا مجاميع من الرعاة والعمال الزراعيين من مختلف المناطق بينهم من يتحدث بلهجة شرقية (شروكية) او بغدادية او غربية نفرح بهم جميعا ويكون وجودهم مفرحا ومساعداً بنفس الوقت.

بين هؤلاء شيخ طاعن في السن لكنه انشط من حيوية الشباب هو (حجي عبيد) كما كنا نسميه. ياتينا هذا الشيخ الطيب وحيدا مع مطيته ذات اللون الرمادي والتي كان يطلق عليها اسم (الملحة) حاملا منجله الحاد والذي يسميه (الباذورة) يتناول فور وصوله احدى سواقي الزرع المليئة بالادغال والحشائش الضارة للشتلات الاساسية وبدا بقلع وحصاد هذه الاعشاب الضارة من بداية الساقية (الجوة) الطويلة فتراه ينقر الارض بمنجله وبكل همة ويفرز شتلة الداية عن الادغال خوفا من اصابتها او قطعها مع باقي الحشيش، ومد الشتلة النافعة على كتف الساقية بكل دقة وكانه يداري طفلا في مهده ويضع الشتلة فوق الكتف الترابي ثم يهيل التراب الطري من قاع الساقية بعد نبشه بمنجله الحاد وتسمى هذه العملية بـ (الكسار) ويكون موعد هذه العملية بعد اسبوعين من غرس الداية المقصودة (طماطة، خيار رقي او بطيخ).

يستمر (حجي عبد) بعمله هذا منذ الصباح الباكر وحتى غروب الشمس ونحن نحيط به فوق كتف الساقية فرحين به وبحكاياته الجميلة والعتابة التي يجيدها بشكل جيد. والمعروف عن هذا الرجل هو الهزل واطلاق النكات الطيبة والبريئة وكنت دائما ما اسمع عنه حكايات التفاؤل وعدم الياس برغم حالة الفقر التي كان يعيشها وكان عادة ما يردد لازمته التي عرفها الجميع وهي....(ما طول غرشة وتتن كل الامور تهون!)

عندما تسلم الشمس الصافية لحظة وصولها الى موقع الغروب يبدأ حجي عبد بلم حصاده من الدغل والعشب الذي ملا به السواقي ونبدا معه بتعبئة الشليف وهو عبارة عن اكياس من الجوت مربوطة الى بعضها مع فتحة كبيرة في النهاية. نبدأ بتعبئة هذا الشليف بذاك الحصاد الوافر ونساعد حجي عبد برصه حتى يستوعب اكبر كمية ممكنة. ثم ياتي بالملحة التي شبعها بالزرع التازة والماء الصافي وتتقدم بكل وداعة نحو الشليف ثم نتعاون سوية (يا الله....يا الله..) ونضع الشليف على جلال هذه المطية الهادئة ثم نبدأبمداعبة حجي عبد وكيفية قفزه بسرعة وكأنه شاب يافع نراه فوق الشليف وهو يضحك الااننا نتلاطف معه بكل طريقة قبل ركوبه دابته كي نحصل على جملة غريبة وضاحكة مثل (دوخر ليقاد تا نبدك عالشليف).

عرفت ان معنى هذه العبارة ان ابعدوا الى الوراء كي اراقب توازن الشليف. وذلك امر مهم قبل انطلاق الدابة عائدة الى كوخ حجي عبد اذ يجب توازن الحمل والا سقط في الطريق الطويل حيث لا يجد حجي عبد من يساعده بوضع الحمل ثانية على ظهر دابته.....

ودعنا وهو يضحك منا لعدم فهمنا لهجته وقال لنا (لعد لو احجيلكم عن السابل والعدل جان كلشي ما تفهمون....) نرد عليه الله وياك حجي، ونعود تأخذنا البهجة والشوق في انتظار هذا الشيخ الطيب والذي علمنا الكثير من امور هذه الدنيا...

من شخصيات التراث الشعبي العراقي

رفعت مرهون الصفار

شهرزاد قاسم حسن

ولدت في بغداد. حصلت على شهادة الدكتوراه في الفنون في جامعة السوربون. مارست التدريس في معهد الفنون الجميلة و معهد الدراسات الموسيقية فمديرة مركز التراث الموسيقي.

كتبت بحوثها باللغة العربية و الانكليزية و الفرنسية. عضوة في المعهد الدولي للدراسات الموسيقية المقارنة والوثائقية- برلين. حاضرت في موضوع (الفنون الشعبية) في الجامعة الامريكية في القاهرة. من مؤلفاتها المطبوعة (مصادر الموسيقى العراقية) (التطور الموسيقي في العراق في القرن التاسع عشر).

نشرت بحوثها و دراساتها العلمية في الصحف العراقية والاجنبية والتي تخص المقام البغدادي.

ناجية المرانى : ١٩١٢

ولدت في مدينة العمارة / محافظة ميسان تخرجت في دار المعلمات. عملت لمدة ٢٧ عاما في التدريس و الادارة واحيلت على التقاعد بناء على طلبها.

و لشدة حبها للعلم و المعرفة دخلت جامعة الحكمة لتنال شهادة البكالوريوس باللغة الانكليزية... ولم يكفها هذا فسافرت الى لبنان لتلتحق بالجامعة الامريكية في بيروت لتنال شهادة الماجستير باللغة الانكليزية ثم سجلت في نفس الجامعة للحصول على الدكتوراه، ونظرا لعدم وجود تخصص للدكتوراه في هذه المادة فقد تحولت الى اللغة العربية وداومت لمدة سنتين. ونظرا لنشوب الحرب الاهلية في لبنان فقد تعذر عليها اكمال دراستها وعادت الى العراق.

لها مقالات وبحوث ومحاضرات كثيرة نشرت في المجلات العراقية والعربية.

من مؤلفاتها: (الحب بين تراثين) (مفاهيم صابئية مندائية) (اثار عربية في حكايات كاتثدبري، كلمات عربيه انكليزية دخيلة) و(هنا بدأ التاريخ) حول الاصالة في وادي الرافدين.

عماد عبد السلام رؤوف ١٩٤٨

ولد في بغداد. مؤرخ في التاريخ وباحث. حصل على شهادة الدكتوراه في جامعة القاهرة. تراس اتحاد الكتاب و المؤلفين. نشرت بحوثه ومقالاته في الصحف العراقية و العربية. من مؤلفاته (ولاية الموصل في عهد ال الجليلي ١٧٤٩-١٨٣٤) (تاريخ الشرق الادنى) (مدارس بغداد في العصر العباسي) (زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية – دراسات و تحقيق) (الاثار الخطية في المكتبة القادرية)، (المؤرخون العراقيون في العصر العباسي) (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) (كتاب العرب لتاريخهم في العصر العثماني) (الاصول التاريخية لاسماء محلات بغداد) (معلم بغداد في القرون المتاخرة) (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث) (عبد الرحمن حلمي العباس السهروردي- تحقيق)

الحاج هاشم الرجب ١٩٢٠-٢٠٠٣

ولد في بغداد. خبير في المقام البغدادي وعازف السنطور، اهتم بالمقام العراقي و تابع كل الانشطة الموسيقية البغدادية.. درس الة السنطور في معهد الفنون الجميلة. سمى المقام العراقي بـ (علم الهواء) لانه يسمع ويحفظ وينتقل شفاها وهو يحتاج الى متابعة وذاكرة قوية متواصلة. نشرت بحوثه ودراساته ومقالاته في الصحف والمجلات العراقية والعربية. من مؤلفاته المطبوعة((مختارات الابوذيه) (من الشعر العامي المذيل) (حل رموز الاغاني) (المقام العراقي) (الموسيقيون و الفنيون في خلال الفترة المظلمة) (الرسالة الشرقية) (الرسالة الفتحية) (من تراث الموسيقى) (الابوذيه).

بدري محمد فهد ١٩٣٧

ولد في بغداد. نال شهادة الدكتوراه من جامعة الاسكندرية / جمهورية مصر العربية. نشر بحوثه في مجلات وصحف عربية وعراقية من مؤلفاته المطبوعة (الخليفة المغني ابراهيم بن المهدي) (تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير) (الصلة الثقافية بين العرب وافريقيا من خلال الحركات الشعبية) (القاضي التنوخي وكتابه نشوار المحاضرة). (العائلة ببغداد في القرن الخامس الهجري).

شاكر صابر الضابط ١٩١٥-١٩٩٠

ولد في مدينة العمارة /محافظة ميسان. من اوائل الكتاب في مجلة التراث الشعبي وكان صاحب امتيازها عند صدورها عام ١٩٦٣ من كتبه المطبوعة (تاريخ الصحافة بين العراق و تركيا) (موجز تاريخ التركمان في العراق) (تاريخ المنازعات والحروب بين العراق وايران).

عباس هجيج الحلي ١٩٢٧

ولد في محافظة بابل. شاعر شعبي نشر الكثير من المقالات الادبية في الادب الشعبي خاصة في الصحف العراقية. من مؤلفاته المطبوعة. نشأة الحياة –الابوذيات العراقية الكبرى. معجم الشعراء الشعبيين في العراق.

سالم حيدر الامير ١٩٢٣

ولد في مدينة سوق الشيوخ / محافظة ذي قار حصل على دبلوم عالٍ من اكاديمية (فرانزليست) في المجر. اكتشف النوطة الموسيقية القديمة التي كانت تستعمل في ايام العباسيين عند الفارابي و صفي الدين الارموي البغدادي. من مؤلفاته المطبوعة (اعمال الملا عثمان الموصلي الموسيقية) (قياسات النغم عند الفارابي)، (دليل سلالم المقامات العربية).

ثامر العامري ١٩٤٧

ولد في قضاء الرفاعي / محافظة ذي قار تخرج في دورة الضباط العالية قدم بحوثا في مهرجانات بابل وندوة بغداد للتراث الشعبي. من مؤلفاته المطبوعة (حضيري ابو عزيز) (محمد القبانجي) (المقام العراقي) (المغنون الريفيون واطوار الابوذيه).

أمال ابراهيم محمد ١٩٥١

ولدت في بغداد. تخرجت في كلية الفنون الجميلة اجرت عدة دراسات في المركز الدولي لدراسات الموسيقى التقليدية نشرت مقالاتها في مجلة (المأثورات الشعبية –دولة قطر) (التراث الشعبي و العراق) من مؤلفاتها : (صناعة الة العود في بغداد) (مصادر الموسيقى في العراق –بالاشتراك مع شهرزاد قاسم حسن) (موسوعة صناعة الآلات الموسيقية –بالاشترك مع شقيقتها انتصار ابراهيم).

عبد الحميد العلوجي ١٩٢٤

ولد في بغداد. كاتب وباحث موسوعي تخرج في كلية الحقوق. اسهم في تأسيس مجلة (المورد) و رأس تحريرها. حصل على وسام المؤرخ العربي وشارة جمال الدين الافغاني وشارة الفارابي وشارة بغداد والكندي. نشرت بحوثه ومعاركه الادبية مع فؤاد جميل والدكتور محسن جمال الدين. له ما يزيد عن اربعين مؤلفا منها : (مؤتمر الموسيقى العربية) (تاريخ الطب في العراق) (الاصول التاريخية للنفط العراقي) (الرجل المربوط).

محمود ابراهيم العبطة ١٩٢٠-١٩٨٦

ولد في بغداد. تخرج في كلية الحقوق. عين حاكما (قاضيا) في محافظات القطر ومارس المحاماة. نشر مقالاته في الصحف العربية والعراقية. رأس تحرير مجلة التراث الشعبي.

من مؤلفاته (القافلة) (الديموقراطية في العراق) (بدر شاكر السياب) (عثمان الموصلي) (رجل الشارع في العراق) (الفولكلور العراقي).

عادل حسوني المرداوي ١٩٤٩

ولد في مدينة ابو صخير /محافظة النجف الاشرف. عمل في الصحف و المجلات مثل (الفكاهة –الراصد – صوت الفلاح –الجمهورية – الاتحاد –بغداد) –وهو الان رئيس جريدة صوت بغداد التي تصدرها امانة بغداد.

شارك في برامج اذاعية وتلفزيونية تخص الادب الشعبي و التراث الفني.

نشر ما يخص الفولكلور العراقي في مجلة التراث الشعبي.

يتحدث الان في فضائية الحرية بـ ٣٠ حلقة عن شخوص التراث الشعبي منها: (الخباز - المكوى- القهوجي – النداف- الختان - الحلاق) وغيرها. اشرف و ادار ندوة منتدى بغداد الثقافية لسنين طويلة.

عبد المولى الطريحي ١٨٨٩-١٩٧٥

ولد في النجف الاشرف في بيئة فقه وادب. اصدر مجلة الحيرة.

نشرت بحوثه في الصحف و المجلات العراقية.

من مؤلفاته المطبوعة (فدعة الشاعرة) (خنساء خزاعة) (نزهة الغري في تاريخ النجف لمحمود عبود الكوفي –تحقيق) (انساب القبائل العراقية لمهدي القزويني الحسيني –تحقيق) (تقديم لكتاب تذكرة خواص آلامه لسبط ابن الجوزي) (تقديم ديوان سنجاف الكلام لحسين قسام).

الامثال الشعبية العراقية

فاضل ثامر

تشغل الأمثال الشعبية العراقية مكانة خاصة في موروثنا الفولكلوري. وتجد انتشارا وذيوعا بين مختلف طبقات المجتمع وعبر مختلف العصور لاسباب و عوامل مختلفة، منها انها تنتمي الى الثقافة الشفاهية وتمتلك القدرة على الانتقال الشفاهي من مرسل معين الى متلق محدد او عدد من المتلقين دونما وسيط كتابي او شفري،كما انها تمتلك خاصية الانتقال السريع بين الناس من خلال مقبولية عالية بسبب تعبير هذه الامثال عما هو مشترك في البنية الذهنية للفرد العراقي، ولانها تمتلك خصائص اسلوبية وتركيبية وبنيوية عالية من خلا ل مبدأ الاقتصاد اللغوي والميل للتركيز والترميز ضمن بنية ايقاعية داخلية مدروسة.

ومن اللافت للنظر أن المثل الشعبي في العالم يمتلك مشتركات كبيرة بين مختلف الشعوب والثقافات، لدرجة ان الباحث الحديث في حقل الامثال الشعبية المقارنة يجد فرصا سانحة لدراسات مقارنة مستفيضة تربط الامثال الشعبية لدى شعوب العالم، وربما يعود ذلك الى أن هذه الامثال نابعة من حاجات إنسانية فردية و جماعية فطرية أو شبه فطرية تقترن بالسلوك الأجتماعي اليومي للفرد والمجتمع، كما ان هذه الامثال تمثل جزءا من ذاكرة الوعي الجمعي، ومظهرا من مظاهر الثقافة الشعبية غير الرسمية،وتجسيدا للفطرة الانسانية في اصفى تجلياتها. وعلى الرغم من المظهر التلقائي البريء لهذه الامثال الا انها تمتلك قدرة ترميزية عالية وتكشف عن مستويات سيميائية وشفرية ممتلئة تنبئ عن درجة عالية من الفطنة والحصافة والذكاء والحكمة لدى الانسان البسيط،ولا يمكن فصل الامثال الشعبية العراقية عن الموروث العربي الكلاسيكي للامثال العربية كما لا يمكن فصل الامثال الشعبية لدى مختلف مكونات الشعب العراقي الاثنية كالعرب والكورد والتركمان والسريان والكلدواشوريين وغيرهم.

ونأمل ان يعنى الباحثون العراقيون في ميدان الثقافة الشعبية العراقية بدراسة المشتركات الذهنية والتعبيرية والاسلوبية في أمثال مختلف مكونات شعبنا العراقي.

وتحتل الامثال موقعا متميزا في الموروث العربي الكلاسيكي، فخصصت لها المصنفات الكثيرة أضافة الى احتواء كتب الادب والسيرة والتاريخ على الكثير من الامثال والحكم مثل كتاب (الاغاني) لابي الفرج الاصفهاني و(ديوان الادب) للفارابي و(الف ليلة وليلة) و(مقامات الحريري) و(شرح الاماني) للبكري،اما أهم المصنفات الكلاسيكية المتخصصة الشائعة فهي "مجمع الامثال"لابي الفضل الميداني و"مجمع الامثال"لابي الفضل النيسابوري و"المستقصى في الامثال"للزمخشري و"موسوعة الامثال"للثعالبي و"الفاخر في امثال "لابي سلمة الكوفي الضبي،و"تمثال الامثال"لجمال الدين الشعبي. أما في العصر الحديث فقد عني عدد من الكتاب والباحثين والمؤرخين العراقيين بدراسة الامثال الشعبية منهم محمود شكري الالوسي ومعروف الرصافي وجلال الحنفي وعبد الرحمن التكريتي ومحمد صادق زلزلة وغيرهم، كما حفلت مجلة "التراث الشعبي"العراقية وهي دورية متخصصة بالفولكلور بنصوص ودراسات عن الامثال الشعبية العراقية عبر مختلف العصور.

ويستطيع الدارس الحديث اعادة دراسة وفحص وتقييم هذه الامثال الشعبية في ضوء المنهجيات الحديثة في علوم الفولكلور واللسانيات والانثروبولوجيا والسوسولوجيا اضافة الى الدراسات الثقافية الحديثة التي تعنى بالكشف عن الانساق الثقافية والفكرية للخطاب الثقافي وسيكتشف الباحث انماطا من الوعي والتفكير، منها ما هو أصيل ومنها ما يعكس وعيا زائفا، ذلك أن هذه الامثال قد ترعرعت دون رقابة أووصاية وخارج هيمنة السلطات الثقافية والايديولوجية الرسمية، وكانت تتحرك في الغالب من خلال القاع السفلي للمجتمع وخلال قنوات أتصال فردية وجماعية مباشرة، وبميسور الدارس ان يصنف هذه الامثال الى أبواب ومحاور وموضوعات مثل الامثال الخاصة بالمرأة والطفولة والصداقة والجيرة والكرم والحياة والموت والعمل والصدق والخيانة والحب وغيرها كثير.

كما تتيح هذه الامثال الشعبية الفرصة للدارسين لدراستها لسانيا وسيميائيا ودلاليا فهي تنطوي على مجموعة من البنى والصياغات التركيبية الدقيقة التي تعتمد مبدأ الاقتصاد اللغوي والتكثيف والتركيز، فهناك في الغالب بنية ايقاعية داخلية واخرى خارجية تعتمد على السجع أحيانا وعلى لون من التقفية الداخلية أو اعتماد بنى التوازي والتناظر، وهذه الامثال تعتمد على توظيف الاستعارات والتشبيهات والصور وغيرها من المحسنات البديعية وأحيانا على تكثيف البيئات الحكائية بطريقة رامزة دالة، ذلك انها في غالب الاحيان تشير الى أصول حكائية أو قصصية استلهمتها أو نبعت منها،مما دفع بالكثير من المصنفين الى البحث عن الاصول المكانية والاجتماعية لهذه الامثال والمناسبات التي قيلت فيها، وهو موضوع اخر من موضوعات الدراسة الفنية المفتوحة أمام دارسي الامثلة الشعبية العراقية.

ان ما نرجوه أن تحظى الامثال الشعبية مستقبلا بالمزيد من عناية الدارسين والباحثين والنقاد العراقيين.